ثنائية الطفو والغرق

د. أحمد تيمور

ثنائية الطفو والغرق

الطبعة الأولى يناير ١٩٩٠

الغلاف تصميم الفنان محمد حسن الشربينى

الجزء الأول

١- شجرة توت اسمى
٢- احتمالات الحلم والمرآه
٣- متتاليات السهم

شجرة تـوت اسمى

فى خاصرتى اليمنى
يَتلقّى جرحى
رمحى

وبكفى اليمنى
استخرجنى
زمنًا يتفصّد أزهاراً يابسةً
ومقاطعَ من أغنيّاتٍ تتهافت وجدًا
وحطام أمانى

أتأملنى
لغةً غابرةً
وأحاول عبثاً أن أتهجّانى

أرشقنى
فى مفترق الطرق المسكونة بالليلِ
عموداً من فوسفورْ
أنتثر مقابضَ أبوابٍ وبقايا سورْ

وتلوح على البُعدِ .. خريطة أشجانى
تقتربُ .. رويداً
حتى أُشْرِف من فوق روابيها الباسقةِ
على ودیانی المنخفضه
أتعثّر بين حشائش سفحٍ مهجورٍ
وشظايا رمحٍ مكسورٍ
فى نبضه

تتدحرج دونى

أتتبّعها ..

.. حتى أصل لقلبى

أسأله عن قسماتى

ينكرنى

أتسكّع بين الشجرِ ..

وأعجبُ

كم كان رشيقًا هذا السَرْوُ

طويلاً ذاك الصفصافُ

وكم كان غزيراً شَعْرى

* * *

شجرة توتٍ تعترض طريقي

تشكو من دودة قزٍّ

تعلك إحدى نقط التاءْ

أنهرها

تتشرنق حول الياءْ

أتعلّق بالميم

فتنفلت الواو فراشه

لكنّ الراءْ

مازالت تشتعل زهورًا حمراءْ

* * *

يأتينى صوتى
من تحت حصاةٍ .. مشروخاً بالآه
أنفض عنهُ نبرتهُ
وألملم فى آنية الحنجرة الخزفيةِ
بعض صداه
يلمع صوتى لمعان الزئبقْ
أعقدهُ كرباط عنقْ
وأسير أدقّ على دربى الصامتِ
بعصاه

تتقفّى أثرى

عائلةُ كراكى

وقطيعٌ من سنجابٍ يبحث عن مأوى

ونباتاتٌ صحراويه

وقواقعُ شقراءْ

ووجوهٌ مثل الأقمارِ

وأسماءْ ..

كتقيّه

ومها

ومحمد

أو نجوى

يتخللنى التعبُ

فأجلس فى ظلى .. مشغولا

بهباء شعاع الشمس طويلا

يسند ظهرى الأفقُ

فألتقط النجمات وأرميها مللاً

تتحلّق حولى أفكارٌ شتّى

وطواويسٌ عاريةٌ

ترتعش فضولا

وزنابقُ تُحْدِثُ أصواتاً كالموسيقى
وشقائقُ نعمانٍ تتخاصرُ راقصةً
وبنفسجْ
ومظاهرةُ أرجْ
وغناءْ
يغمرنى إحساسٌ بالألفةِ والأشياءْ
أتسرّب من قبض توترىَ السطحىِّ
وأنسابْ
فى كل شقوق الأرض المسقوفةِ
بالرمل .. وبالأعشابْ

تتضفّر خيطانى فى خُصلة سردابْ

أنزلق عليها

كالشلال المنقضْ

حتى أقع على ترقوتى

تستغرقنى تجربة الرضْ

تنفتح أمامى

فوّهة السردابِ

على السطح الآخر

للأرضْ

احتمالات الحلم والمرآه

الاحتمال الأول

نام الحلمُ

فهل تصحو المرآه

نام الحلمُ فلا تدع العدسة تجفل

والأشباه

ترحل

دون مضاهاه

نام الحلمُ

وأقبلت الأشباح البيضاءْ

من أوديةِ العاجِ/الثلجِ / الزَبَدِ /القطنِ الطبىِّ /

زهورِ النرجسِ

وجبال الذكرى

أقبلت الأشباحُ

فكان على المرآة المسقيّةِ ببياض الأعينِ

أن تلجأ للإصغاءْ

وحواسٍ أخرى

الاحتمال الثانى

نامت مرآتى

وصحا الحلمْ

من للوجه السرىِّ

سوى العينين المغمضتين المثقلتين بأشواق الغيمْ

أخلع معطف جلدى المولع بالوهج الشمسىِّ
وأدلفْ
من ثقبٍ فى إبطى
أتدافع فى داخلىَ المعتمْ
ثم أقفْ
كقطار مأخوذ العرباتِ
على حافة هاويةٍ ملأى بزوايا الأنجمْ

أتفرّق أياماً
مختلفات النكهة والهاجس والهمْ
لكنى ما ألبث كدوالى الكرمْ
أن أتجمّع صهباءً فى دنْ
وأدندنْ
أغنية ناعمة كالمخمل بشفاهٍ أنعمْ
أهديها للغصن المجدبْ
كيما يحبل فى برعمْ

أشرب آخر قطرات اللحن فأطربْ
حتى أتخفّف من أنسجتى
وأشفْ
وبصمتٍ مرهفْ
ومشاعرَ جيّاشه
أتسربْ
كالصبغ الأخضر فى عود البرسيمْ
اطلع فى النقش المكتومْ
بجناح فراشه
تتهيأ للنومْ
فى شرنقة الحلمْ

الاحتمال الثالث

نام الحلم ونامت مرآتى

وصحا جرحى

حين تكامل فوق الشاشةِ

- من مزقٍ ذاهبةٍ فى العتمةِ -

وجهى الآتى

خذنى فى عينيكَ
أخبّئْ آهاتى
ودع الأيام تمرّ كثيرا
دعها تمضى
فى الزمن المغلوط بدون أناةِ
يا وجهى الآتى
إما أن تمنحنى شفتيكَ
فألفظ أنفاسى وأموتْ
أو تقذفنى رأسا لدنًا .. للقابلةِ
وأولد طفلا آليًّا مرحًا
فى عائلة الروبوتْ

الاحتمال الأخير

يصحو الحلمُ

وتصحو المرآه

وتدقُّ الموسيقى

وحناجر من بلّورٍ تهتف للعز المفعم بالجاه

عاش السلطان العائد كالشمسِ
وأهلاً بالحاشيةِ القمريّه
طوبى لرجوع النور الساطعِ من منفاه
وأجرّ ذيول السلطان الذهبيه
فوق سجاجيد المرمرِ فى بطءٍ تيّاه
تحملنى للعرش الفاغر فاه
قدماه
وتصفق من بعد الرسغين بزندىّ
يداه
ايذانًا بالرقصِ

فتندفع زهورٌ ناهدةٌ
من أحواض جنينات القصرِ
ومن أصص الدَرَجِ
ومن عروات الأمراءْ
وتغنى بشفاهٍ من عطرٍ
يجتاح مسام رخام تماثيل البهوِ
فينتصب البعض على أطراف قواعدهِ
والبعض الآخر يقعى فوق مساندهِ
فى استرخاءْ
ويفور الرقصُ

فتنكشف الرغبة والأكتافْ

وأصفق فى طلب السيّافْ

فإذا جاء

أطلب منه جميع رؤوس الأيام السوداءِ

بلا استثناءْ

متتاليات السهم

عن السهم

مشدوداً

ما بين الخيل الصاهلِ خلفى

وصهيلِ الخيل أمامى

يتوتّر قلبى قوساً

ويسدّدُنى
أنجرفُ أنا السهمُ الدامى
تتطايرُ من بعدى
أشرطةٌ قانيةٌ
وتفاسيرُ شتىً
وعلاماتُ استفهامٍ
أتتابعُ فى الجوِ
كما المطرِ الأفقىْ
لا يشربُه عشبُ الأرض الظامى
كفصيلة طيرٍ مبتور الأقدامِ

مقدورٌ
أن أبقى متّصلَ الإقلاعِ
على سفرٍ أبداً
يجتاز دخانُ قطارى
كلَّ شبابيك محطاتِ الكون المترامى
ويمرُّ رغاءُ الزبدِ الراكضِ فى إثْر سفينى
بجميع موانى البحر الغارقِ فى أزرق خارطتى
دون توقّفْ

لو أنى أعرفْ
أين توجّه سهمى
- بعد نهاية منعطفٍ ما -
بظهيرةِ صيفٍ مشتعل الأنسامِ
لو أنى أستقبلنى
- ذات مساء شتوى -
سهما مرتداً
يرتاح أخيراً
فى مرقدهِ بين عظامى

المتتاليات

-١-

أعبرُ أخضرَ سعفِ النخلْ
أعبر بنًىً المدخنةِ المحروقَ
وقطعانَ دخانٍ تجتمع وتنحلْ

أقرأ دون معاناةٍ تُذكرُ
منحنياتِ الاحصاء المرسومةَ
فوق السهل / الجبل / الوادى / الجبلِ /
الأخدود / التلْ
أتوازى وزفير اليابسة المبتلْ
تصغر أبنيةُ الذكرى
تتماثل للنسيان الرغبةُ
فى استقصاء دلالات الوجه الرجل / الوجه المرأةِ
والوجه الطفلْ

يعتدلُ مزاج بخار الماء الطالع من
طست البحر وإبريق الجدولْ
يترجّل
عن صهوات خيول المرجلْ
أتبادل معه التذكاراتِ الصُلبةَ والسائلةَ
يحدّثني عن قانون الطفوْ
أسألهُ :
هل مازال الماءُ خليلَ الخشب وهل
ما زال الخشب على الماء يدلْ

-٢-

يلسعنى مقطعُ أغنيةٍ لم يكملْ

(على بلد المحبوب ..)

أُلقى فوق ذراع الأفق الممتدِّ جبينى المثقلْ

أتذبذب كالبندول يميناً ويساراً

كالمطرقة المغناطيسيةِ فوقَ وتحتْ

لكنّى

أبداً لا أختلْ

-٣-

تعبرنى قافلةٌ من وتريّاتٍ
أحد النظّارة يسعلْ
تزجرهُ آلاتُ النفخْ
أقفز مذعوراً
من صرخة جلد الثور المشدودِ
على افريز الطبلْ

– ٤ –

أمتدُّ كما السيف المنسلْ

تتوقانى أعناقُ الشهبِ وتفسح لى

راحاتُ النجماتِ الطرقَ المزحومةَ بالأقمارْ

أمتدْ

مذْ غادرتُ الغمدْ

كشعاع الليزرْ

لا أحدَ يسدُّ علىّ

شبقى المتطرفَ للوصلْ

فأنا العبسىُّ يسوق النوقَ الحمرْ

من أرض النعمان بن المنذرْ

يفريه الشوق إلى عبلْ

-٥-

تشحب أضواء مصابيح دروب الأرضْ
أتخفّف من بعض الماء وبعض الزادِ
تشحب أكثر
تخفت ضوضاء العربات / نداءات الباعة /
صيحات الأولادِ
تنفجر على مقربةٍ منّى بالونات الأعيادِ
تنكسر نهاياتُ الموجات الصوتيةِ
رغواتِ صدى
يختلط نشيجُ النائح ونشيدُ الشادى
يتكامل من بُعدٍ
رقصُ الصيد المذبوحِ
على أنغام سكاكين الصيادِ

-٦-

كهنيهة ما قبل النومْ

ينسكب الطرْف اللزج ببطءٍ متمادى

فوق حبيبات الوعى الذائبِ

فى ملكوت التسبيح المتصل الأورادِ

يتقافز كل الزهر الأبيضِ

من جنبات الوادى

فوق وسادى

تنفكّ علاقات فراغاتى بجمادى

أتذّرى كربونا

وعناصر أخرى

يخطر لى مرتابا
أن استعمل صوتى
فأنادى . . .
بعض صدى صوتى يتعلّق فى صوتى
هل ظاهرةٌ ما أكتشف الآن تُسّجل لى
أم حدثٌ يومىٌّ عادى

-٧-

الأفق رمادى

وأنا أحترق من الذيلِ فأمنحنى دفعا

وأبيح الأفق رمادى

أتداخل فيه وأجعل غزْلى

بعض قماشته الضافية على أكتاف الآمادِ

فأنا أتضاءل لكنى أسمو

أتجاوز جسدى

أفقد تمييز ملامحه بين الأجسادِ

أتجاوز ولعى اللغوى

عوزى للآخر

أتجاوز حقى فى الكلأ المشتركِ

وفى الشدو جماعياً بحبورْ

أتجاوز مخروط سطوحى

ومماسات حدودى

ومكعَّب أبعادى

حتى يتسنى لى أن أختار الضد الرائعَ

من بين جميع الأضدادِ

أفنى فيه فناء الوردة فى عنبرها
والكتلةِ فى الطاقةِ
والشمعةِ فى النورْ
فالآنْ
يبدأ ميلادى
والآن
فليرجعْ دونى
محلولَ السرج ... جوادى .

الجزء الثانى

١ - ثنائية الطفو والغرق
٢- أعماق البحر الليلية
٣- عن تاريخ البحر وأمانيه
٤- بضعة قصائد متباينة الزرقة
٥- أحادية مافوق الطفو
٦- أحادية مابعد الغرق
٧- عن الرحلة إلى الجزر النائية

ثنائية الطفو والغرق

لا أذكر منذ متى
والبحر بقلبى يطفو
ويغوص.

وأنا أفرد خيطان شبَاكى
من شُبّاكَىْ عينىَّ رجاءً
وأمدّ رموشى المنزوعة من أحراش البوصْ
عيدانَ شصوصْ
أغريتُ الشطآن بقلبى
لكنّ الشطآنَ
تواريخٌ قابلةٌ للنسيانِ
وأخبارٌ يُختلفُ عليها
وأقاصيصْ

أغريتُ البحّارة بالتبغ العجميِّ
وبالخمريّات النوّاسيّةِ
وعقاقيرِ الإسقربوطِ
لكى يصطادوا البحر بقلبى
لكنّ البحارةَ
– فى منتصف البحرِ – النصف سكارى
والنصف لصوصْ
أغريتُ دوار البحر بأن يتقيّأ قلبى
فتقيأ مرجاناً .. ويواقيتاً .. ومحاراً
وخواتمَ بفصوصْ
لقلوبٍ شتّى .. راحت تطفو وتغوصْ

لا أذكر منذ متى
والقلبُ يغوصُ ويطفو
بحثاً عن سمكاتٍ شَفّاء
والماءْ
من حولى أسرابُ نسورٍ عمياءْ
تتلاطم فى وجهى
حتى تتساقطَ أعضاءُ ملامِحِهِ الشاخصةُ
من الإعياءْ

والسمكاتُ الشفّاءْ
لا تفصحُ عن أسرار شفافيّتها
والأضواءْ
لا تنكسر على أعتاب زعانفها
والأصداءْ
لا ترتدّ إلى قلبى المتبدّدِ
فى حنجرةِ الزبدِ
نداءً فى إثر نداءْ

لا أذكر منذ متى
يأخذنى الغرقُ إلى الطفوِ
ويُسْلِمنى الطفوُ إلى الغرقِ
ثنائيّاتٌ تتناوبنى
وأنا مستسلمْ
قَدَرَاىَ هما
كاليقظةِ .. والنومْ
كالمرآة .. وكالحلمْ

في يومٍ جاء إليَّ البحرُ
وقال عليَّ الزرقةُ
وعليكَ العومْ
أوصيتُ الصفرةَ في رمل الشاطئ بالأطفالِ
ورملَ الشاطئ بالزوجةِ
والشاطئَ بالأمْ
وحزمتُ الأيام السبعة في رئتي
وشَدَدْتُ القوس المتوترَ
فيما بين الكاحل والترقوةِ
فتمتمَ ثم انطلق السهمْ

من نافذةِ الماءِ
أُطلّ على أيامى الغرقَى
بعضُ الآحاد طَفَتْ
ها أنذا أتلقَّى
درساً فى رسم الزهرِ
ثلاثاءٌ ما بحشاشةِ قلبى عَلِقا
فتذكرتُ ملامحَ وجهٍ منسىٍّ
ومقاطعَ من أغنيةٍ خافتةٍ
بلّلها الماءُ فأفقدها النطقا

كان الإثنينُ / السادسةُ مساءً
موعدىَ الأسبوعىُّ مع الأصحابِ
لنحتسىَ الشاىَ
ونبتسم كثيراً .. كذباً أو صدقا
الآن الأصحاب على المقهى دونى
يبتسمون كثيراً مازالوا
والنادلُ فى غير مبالاةٍ
يرفع كوباً فوق الطاولةِ تَبَقَّى

أيامٌ من ذات شتاءْ
نَجَحَتْ فى أن تَخرجَ من غرغرةِ البللِ
لكى تتنشّفَ فى الصحوِ
على أرصفةِ الميناءْ
رَكِبتْ عرباتِ قطاراتٍ مختلفاتِ الوجهةِ
راحت بعض الأيامِ إلى المدرسة الإبراهيميّه
وجَرَتْ ترسم فوق السبّورةِ
بطباشيرِ الجيرِ المبلولِ
رموزَ الكيمياءْ

والبعضُ الآخرُ راح إلى بيت الحلميّه
فتح شبابيك البيت المهجورِ
وأشعل كلَّ الأضواءْ
والبعض الثالثُ
لم يعرف أين يروحُ
فعاد إلىٰ محاراً نخرتْهُ الشمسُ
يفتّش عن حلزونٍ
مازال بأوردتي يتنفسُ
كيما يحملَهُ ثانيةً
للماءْ

*

وأنا ..

أتلو قبل صلاةِ الجمعةِ

آياً من آيات الكهفِ

وأجدلُ بعضَ السعفِ

على هيئة عصفورْ

.. أتذكر تجربة الطفو وتجربة الغرقِ

فأرسل ما فى كفِّى

للريح – وقلبى محتشدٌ بالأزرقِ –

فيطيرْ.

أعماق البحر الليلية

فى أعماق الليل المتواطئة مع الفجرْ
يمتشق البحر قصيدتهُ فى الفخرْ
يرتطم ركام الصخرْ
بركام الصخرْ

تُهرع اطيار الرعد الهاجعةُ
على أغصان السحب المضطربة بالهربِ
تطاردها أعيرة الشرر البرّاقه
وأرانى فى هاتيك اللحظةِ
ارقى دَرَج المادةِ مسحوراً
- من شرق الأذن اليمنى
حتى غرب الأذن اليسرى -
بأناشيد الطاقه
وأرانى والبحرْ
يمتشق قصيدته فى الفخرْ
أختارُ مبادلة القدمين اليابستينِ
بأجنحة ملائكة البخرْ

فى أعماق الليلْ
وبصوتٍ كالمخملْ
تهمس شفتا البحر بأغنيَةِ غزلْ
من ينصب فخاً
فى القلب لآهات الياقوتْ

من يفتق شرخًا

فى درقته الصمّاءِ

ويسمح للحلزون السمعىّ بأن ينسلْ

فى أعماق الليلْ

يتمطّى

ينفرد ويصبح خيطًا من مصلْ

ينفذ من سَمِّ الإبرة فى كف الشط المبتلْ

ليخيط نهايات الموجاتِ

بآثار الأقدام على الرملْ

فى أعماق الليلْ
ينتعل البحر ظهور البرىّ من الخيلْ
فإذا بسنابك أمواجٍ تصعد فوق التلْ
وإذا بسنابك أمواجٍ تهبط ملء السهلْ
تبتعد .. وتقبلْ
والويلْ
مضطرد الإيقاع يثير النقع ويصهلْ

انفعل البحر
والبحر إذا انفعل فَعَلْ
نتلاطم سيقانًا ومناكبْ
وحطام مراسٍ .. ومراكبْ
تنسحب الموجة عيناً ثابتةً
متقلِّصة الحاجبْ
عن وجه الأرض الشاحبْ
وتبين نيوب الفك الأسطوريّ الغاضبْ
فإذا بدماء الشمس الذهبيةِ
تقطر من جانبْ
ودماء القمر الفضيةِ
تقطر من جانبْ

فى أعماق الليلْ
يشتاق البحر إلى الوصلْ
متذكّراً الزمن الأولْ
حيث الزرقة قطرة فيروزٍ
والزبد وريقة فلْ

ويرقّ البحر فهل
تجرؤ بعد النسمات على أن تتهدلْ
فوق خدود الجدولْ
أو أن تجدلْ
تحت القمر ضفائرها وتحلْ
رق البحرُ
ورق الليلُ .. فهل
تختزل الزرقةَ قطرةُ فيروزٍ
والزبدَ وريقةُ فلْ ؟
ويعود الزمن الأولْ



عن تاريخ البحر وأمانيه

فى البدء

فى البدءْ
كان البحر فراغًا . . والقاع خلاءً
والشطآنْ
قشرةَ رمّانْ
ناشفةً

والزرقةُ لفظاً سرياً
لم يُعلنْ برطوبتهِ شفةً
وطيورُ البحرِ
طيوفاً تقبل حالمةً بالماءِ
وترجع آسفةً
والميناءُ ببال السفن الهائمةِ طويلاً
أرصفةً
والصيادون يسمّون السمك الأسماءَ
ويحصون صفات فصائلهِ
صفةً صفةً

ويحيكون الشبكَ
وينتظرونَ
قدوم البحرِ
إلى حيث يمدّون الشصَّ
مصادفةً .

ما قاله البحر

" أنا " قال البحرْ
والبحر إذا قال " أنا "
أنَّ النرجسُ وانكسر الغصنُ على الغصنْ
فلينصتْ
من لم تفسدْهُ مساحة ما بين الوسن وبين الجفنْ
وليتهيأُ للطفو إلى سطح النصف يقينْ
ذيّاك الغارق فى نصف الظنْ

البحر هو الحلمْ
والشطآن تفاسيرُ السمك العرّافْ
ونبوءاتُ المائييّن من الجنْ
والبحر هو الزرقة مبحرةً فى الزرقه
فليدركْ من يقف على الأصفر مفضوحًا
أن اللؤلؤ يُؤثِرُ غرقَهْ
فى سرّ الحلمِ
يواصل بَلْوَرَةَ حُبيبات السوسنْ
فى عتمات الصمتِ
بعيدًا عن عدسات التصوير الشبِقَهْ
وفضولِ العينْ .

وما تمناه

خذنى للشاطئ
أنهكنى السفرُ بدون مرافئ
حدّثنى الزَبدُ كثيراً عن بلّورٍ هادئ
ذهبىٌ البشرةِ
ينعس فوق ذراع الشمسِ
هنالكَ يتثاءب فى خدرٍ هانئ

حدّثنى الملح طويلاً عن أفراح السكّرْ

هل من طعم آخرَ

للماء على شفة الظامئْ

غير المالح والمرْ

حدثنى الطحلب عن أشجار البرْ

تورق فى أفرعها

أغنيّاتُ الطير المنسوخة أصداءً أصداءْ

خذنى للشاطئْ

أنهكنى للزبدِ وللملحِ وللطحلبِ

طولُ الإصغاءْ .

*

تهرب من لغة البحر الباءْ

ينفتح البحرُ

على الأرجاءْ

حُرًّا

دون سواحلَ

أو قاعٍ

أو ماءْ

بضعة قصائد متباينة الزرقة

أزرق سماوى

لو كان البحر مداداً
لانْبسطتْ أوراقُ الشجر كراريسا
وانقبضتْ كتبا
تنبض فوق الأغصان فوانيسا
عجبا
* * *

لو كان البحر مداداً
لانغمسَتْ أقلامُ السحب بهِ
وانسكبتْ فوق سطور الصحراءِ
نخيلاً مقروءَ السعفِ
وعراراً مشكولَ الحرفِ
وقطيعَ ايائلَ لغويه
يرعى ما بين حشيش الحادثة الطازجِ
والعشب الناشفِ
فوق سفوح الوصفِ

* * *

لو كان البحر مداداً
لمددتُ إليه عروقى
تشرب من أزرقهِ
وتحاصر أحمر محْرقتى
وتفضّ لهيب معاناتى
لو كان البحر مداداً
لأخذتُ دواتى
وملأتُ حواصل ريشاتى
ورجعتُ لأكتب عن ذاتى
فى غير أسى
وبدون اناةِ .

فيروزى يرفل فى الزنبق

تنصلبُ على أعمدة الملحِ
مصابيحُ الأنهار العذْبه
هل يجرؤ نهرٌ يُقبلُ من منبعهِ عَدْواً
أن يجتازَ مصبَّه

أستبقِى فى صدرى آخر أنفاسى

واقطّعهُ

لحنا مرحا يصحبنى فى أيامى الصعْبه

وادوّرهُ

لؤلؤةً لم تعرفها من قبلُ محارات الغرْبه

هل تتشابه حبّات اللؤلؤِ

تسألنى الأضواء الرطْبه

فتجيب عيونى

لم تشبه لؤلؤتى فى تاريخ اللؤلؤ حبّه

واضمّ جفونى
مَنْ للازرقْ
غيرُ الفيروز الرافل فى الزنبقْ
من للازرقْ
غيرى
والحلم الطافى
يطلع من رئتىّ فقاقيعا
وأنا اغرقْ

فانتازيا بحرية

ما يطرحه البحر النائمُ
من زبد الحلمِ علىً
صباحَ مساءْ

أعجنهُ يابسةً

وأحمّصه فى الصحوِ سواحلَ

تستقبلُ

سفنى الطالعةَ

زفيراً

من رئة الماءْ

* * *

ما يطرحه البحرُ

رذاذاً

يُوديٌّ النكهةِ

أشبكهُ بدبابيس الرملِ

وأبعثهُ مكتوباً للصحراءْ

تقرأه أعجاز النخلِ

وتحلمُ

بالسفر الطافى

فوق النوق الزرقاءْ

* * *

ما يطرحه البحرُ
على شفتى
من فقّاعاتِ رغاءْ
أنفخهُ . . منطادًا يبتلع الأرضَ
وأطلقهُ
والأرض بداخلهِ كرةٌ صمّاءْ
وأنا فوق صواريهِ ملاّح فضاءْ
أصّعّدُ .. حتى ينعدم الوزنُ
فأكسر ساقية الشمسِ

وأعلن عتق القمرِ
من الجَزْر / المدِّ / السحْر / الشعوذة / المسّ /
الشعراءْ
وأنفث خلفى
قطعاً .. قطعاً .. قطعاً
صفحاتِ كتاب الأسماءْ

انتظار أرق يجلب النعاس

أنتظر البحرَ يجيءْ
أنتظر شعاع الأزرقْ
يومضُ .. يومضْ
ويضيءْ

انتظر شراعَ الأبيضْ
يخرج مكتملاً من ظل الموج المجزوءْ
أنتظر ليالى الصيدِ القمريّةْ
وأغانى الشبك المملوءْ
أفتح نافذتى البحريّه
وأوجِّه آذان هوائىَّ .. وأنصتُ
أُفرغُ رئةَ الغرفةِ من هسهسةِ النَّفَسِ المخبوءْ
أُنصتُ .. علّ اللؤلؤَ طىّ مَحَار القاعِ يموءْ
علّ اليرقات ببَيْضِ السمكِ تصىءْ

أطفىء مصباحى
علّ الطحلبَ يفرز فوسفوراً .. فأراهْ
مشغوفاً كنتُ وكان الطحلبُ جِدَّ بطىءْ
أشعل مصباحى .. علّ كتابَ الماء المغلقْ
يخلعُ شاطئَهُ الصخرىَّ .. فأقراهْ
وأنا أغرقْ فى أحضان فِراشى
بهدوءْ.

زيارة ذات طبيعة أنفة

يدفع بابي البحرُ ويدخلْ
آخذهُ بين ذراعيَّ
فيختلج قليلاً
ويمرّ بمنديل الماء على فَوْدَيْه .. فيبتلْ

أستفسر عن أخبار الشطآن المفروشة بالرملْ
يتمهّلْ
أغرق فى زرقة عينيهِ
بينْنا هو يجلس فى تؤدَةْ
أطفو أشواقا حرّى
أسألهُ عن جُزُرٍ شقرا
تستخرج من بعض بياض الزّبَدِ زهورَ الفلِّ
وعن جزرٍ أخرى
تستخرج من بعضٍ أخَرَ .. قشده
يضعُ البحرُ على ساقٍ ساقاً .. ضَجَراً أو كبْرا

أسألهُ .. يتركنى أسألْ
ويطالع فى ساعةِ معصمهِ
- أهداهُ إيّاها الأوقيانوسُ - الجَزْرا
يفرك فى المطفأة لفافتَهُ
ويضمّ على فمه يمناهُ ويسعلْ
- يتطاير فوقَ شجيرة منضدة الصالةِ
بعضُ الورقِ -
ينهضُ كالموجةِ .. وهو يشدّ رباط العنقِ
ثم . . .
- وما زالت أسئلتى تسترسلْ -
يخرج من حيث دخلْ

دعوة نزقة يلزمها توخي الحذر

قَدَحًا جعةٍ

للبحرِ

ولِي

قال اشْرب فى نخب الأمواج العاليةِ
لزمتُ الصمتْ
قال اشْرب فى نخب الريح العاتيةِ
لزمتُ الصمتْ
قال اشْرب فى نخب الزرقةِ
قلت شربْتْ
وسكرنا
حتى الأمواجُ العاليةُ وحتى الريحُ العاتيةُ
طواها السكْرُ
وأصبحتا حملينِ وديعينِ ..
هَدأتْ

نحن صديقانِ فلا تخشَ الموجَ ولا الريحْ
قال البحرُ أتخشى عينىً
فقلت الزرقةُ فى عينيكَ تميمةُ قلبى
وخلاصُ الروحْ
لكن الريحَ انتبهتْ
وأنا أنظر فى عينيهِ
والأمواجُ تمطّتْ
وأنا أنظر فى عينيه .. فَصِحْتْ
بالنادلِ فى وجلٍ
قدحا جعةٍ
لصديقى البحرِ .. ولى

موجـة

تُقبلُ سربًا من سردينْ
يُفتتَح الموسمُ بالرقص المجنونْ
يَنفضّ الموسم بغناءِ الصيادينْ

أحادية ما فوق الطفو :

« أفراح السمكة الطائرة »

أنتهز المدَّ وأبزغ من جِلْد البحرِ
فى ضوء القمرِ
يخفق .. يتلاطم فى إثْرى
زبدٌ غجرِى
ومحاراتٌ خاويةٌ
وحطام مراكبَ لم ترجعْ بعدُ من السفرِ

أتمدّد فى الجوِّ
دخاناً يتحرّر من أسر الشررِ
صوتاً ينسلّ من الصمت المشدود الوترِ
ترتفع زعانفىَ المطعونةُ فى ظهرى
تصبح اجنحةً تتوازى والريحْ
أتفرّغ للهجرة فى رئة الصحو المفتوحْ
أنفض بللى عنى .. صدفاً وخياشيما
هل كان البحر تواريخى الزرقاء قديما

•

•

هل كنت هنالك اتبادل والطحلب سراً مكتوما
عن خطة هربى من سجن الماءْ
ها قد أصبح حلمى الآنَ مساحةَ شمسٍ شاسعةً
ومسافاتِ هواءْ
والصحراءْ ...
ها هى سيف ذهبىٌ
يتلألأ فيما بين الساحل والساحلْ
وجميلاتٌ ينشدن الأشعارَ
ويرفعنَ الثوبَ عن الكاحلْ
وقوافلْ
وحداءٌ راحلْ

كان الماضى ملحاً

وعيوناً شاخصةً لا تجفل

ورطوبه

لو ابقى فى وعى الصحوِ ..

وأبداً

لا يأخذنى الجزْر الراجعُ

– بعد أفول القمرِ –

الى بلل الغيبوبه .

أحادية ما بعد الغرق:

« الإبحار على سفينة السندباد »

أحشو بلآلى البحرين محارى
وأغرغر بنبيذ بلاد الغال جرارى
أملأ بحرير الهند صناديقى
وأرتّب أيقوناتى من خزفٍ صينىٍّ
أو من أبنوسٍ افريقى

أُرسلُ شَعْرى المجدولَ

وأمسح فوق جبينى الفينيقى

أحبس نَفَسى حتى أبلع ريقى

وأفكّر فى ان أتخم بالريح شراعى

لكنّى أتساقط أبعاضًا

يجمعنى مللى

ويبعثرنى ضيقى

أُفرج عن نَفَسى المحبوسِ

وأخرج من إيقاعى

وألملم طير الوشم على صفصاف ذراعى

يكفينى ترحالى الأفقىُّ على السطحِ
فهل من سفرٍ صوب شطوط القاعِ
وأحدّق فى الأزرقِ :
رُبْعى لى
ولجنيّات البحر ثلاثة أرباعى
وأمنّى رئتىّ بأن تنقلبَ
فتنقلب خياشيما
يتميأ صحوى الباطن فى أضلاعى
أتكثّف داخلىَ غيوما
وأغوصُ .. أغوصْ

أعبر فى مرآة الماء كواكبَ غرقى
ونجومًا مطفأةً
أعبر أجواز العمق الكحلىِّ
سديمًا فسديما
حتى أصل إلى كهف البلل الأولْ
أكتشف ينابيع الفيروزْ
أسمع صوت الماء الغارز فى الملحِ
وأسمع صوت الملح المغروزْ

أتسللْ

فى قصر البحر المشغولْ

أعمدةً وقباباً وأفاريزْ

يأخذنى دهليزٌ لدهاليزْ

أسألْ

عن ساحرة البحرِ

فتطلع من سلسلتى الظهرية زعنفة النارْ

أركض كالمرجلْ

ترتفع مياهُ البحر عن القاعِ
مسافة قامة رجلٍ / أطول منى بالكادْ/
أتمشّى بين شجيرات المرجانْ
أطرق باباً من صدفٍ مصقولْ
تفتح لى ياقوته
أُخرج آلة تصويرى
وجهاز التسجيلْ
يغمرنى الضوءُ
وتلبسنى الضوضاءُ

وأنظر فى عينىْ ساحرة البحرِ الساحرتينِ
فأدرك أنى أصبحت إلى آخر يوم فى العمرْ
بعضاً من لـون البحر المبلولْ
بعضاً من صوت البحر المبلولْ
بعضاً من مـلـح البحر المبلولْ .

عن الرحلة إلى الجزر النائية

كنتُ صغيراً

والبحر صغيراً كانْ

أُفْرغهُ فى فنجانٍ من فنجانْ

وأجرّب فيه الرحلة للجزر النائيةِ
بلا خارطةٍ لمسارات الزبدِ
ولا اصطرلابٍ
يرصد أمكنة مصابيح ثريا السقفِ
ولا ربّانْ
أهلكنى الشوق إلى الجزر النائية المعجونةِ
من همسات الكاكاو المخفوقة فى آهات القشده
كان الطفل المتضوّر جوعًا
للمعرفة الشفتيّة فى أعماقى يتلمّظْ

لكنّ حكايات الجدّه
عن فتيات الجزر العذراواتِ
وعمّا تعنيه أقانيم القسمة والحاصل والحظْ
أنضجن بآنية الطفل الساذجِ
بضعة فتيانْ :
راح الأول يزرع أقماراً
فى حجم حبوب الأُرزِ
ويطلقها فى رأس السنة الميلاديةِ
لتمارس حول الأرض هوايتها
فى الدورانْ

راح الثانى يرعى قطعان المنّ الرومىِّ
لصالح نمل الفرسِ
ويقتنص لقيصر منّ الروم الغزلانْ
والثالثُ
يصنع من أنوية البلح تروسًا
ويُعَشّقها فى بعضٍ
ويسمىّ النخل مداخنَ
والسعف دخانْ

والرابعُ

يجلس متكئًا

يتأمل ما يستغرق رفقته من عمل جادٍ

فى وسن واعٍ أو وعيٍ وسنانْ

والخامسُ

يكتب ما يتأمله الرابع شعرًا

- كنباتات الزينةِ -

يقرأهُ

للسادسِ والسابعِ

والثامنُ والتاسعُ مشغولانْ
بزهور الفُلفلِ
تسّاقط من آباط نساء الجزر النائيةِ
مفجّرةً نيران الرغبةِ فى كلِّ مكانْ
والعاشرُ
يحلم أن يتزوجَ
بابْنة سلطان الجزر النائية الشائهة الأنفِ
لكى يرث السلطانْ .

* * *

من عام ظهور الحُمُر الوحشيةِ
حتى عام سقوط زهور القنّبِ
كان مكوثى فى أرض الجزر النائيةِ

صاحبت اثنين من الحمر الوحشيةِ
حدثتهما عن قصة حبى
مع ساكنة جبال الاسفنج العاليةِ

لم تَكُ روحا خالصةً لى
راحت تتداوى
بقشور الحنظل وبذور الزقّوم
وسم العقربِ
كيما تذبل أغصان الروح العاصيةِ
وتصبح جاريتى

اضطرمتْ فى قلبى النارُ
وقلب فتاتى لّما يصبحْ بعدُ مجوسيًّا محضًا
– كان إذا أقسم فى بعض الأحيانِ
فبالماء المحدق بالجزر يكون القسمُ –
لذلك .. أوغلتُ بقلبى داخل قلب فتاتى
فى إحدى الأمسيّات الصافيةِ
ثم طلبت عشائى
– وفتاتى كانت طاهيتى –
لمع بصحن شوائى
بين دموع المقدونس قلبٌ
وتطلّع فى كأسى المثلوج دمٌ
كانت تُدفئه لى فى شفتيها ساقيتى

أدمنتُ الشِعْرَ الخشخاشىّ النكهةِ

حين رجعتُ وحيداً

للكوخ المنتصب على الصخرةِ

- أنأى أطراف الجزر النائيةِ -

وراحت أزهار القنّبِ

تسقطُ

واحدةً

إثر الأخرى

فى قافيتى .

* * *

اصطفَّ الحرسُ الصدفيُّ

على طرقات الجزر النائية المرصوفة بالدرِّ

يودّعُني

كان غناء نساء الجزر النائية حزينًا
يسلبنى آخر أملٍ لى
ويروِّعنى
قبّلتُ الأطفالَ طويلاً
وحملتُ هداياهم
كانت :
آنيةً من خزفٍ حساسٍ
إن حطّ نسيم الليل عليها
همستْ : حسبك توجعنى

وقميصًا
لما أتقمّصهُ
يتضرّع خيطًا خيطًا
لو أنك أبداً لا تخلعنى
وحصانًا
من خشب الورد البلدىّ
إذا صهلَ
تضوّع عطر الورد البلدىّ
بكل مكانٍ
يأخذنى ويضيّعنى

وقصائدَ
تشبُّ الأنهار بها
ويرفّ الطيرُ
وتُغْوِل فى أحراش قوافيها الريحُ
وينهمر المطرُ
ويسكن قلب الليلِ
سكوناً يبلع كل الصخب الكونىّ
ويبلعنى

المحتوى

الجزء الأول

الجزء الثانى



رقم الايداع

٩٠ / ٢٤٠٤



ت ٢٤٢٩٧١٤